مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 9 العدد 2 / ديسمبر 2023
ص ص 74-79

المصطلح النّحويّ في النظريّة الخليليّة الحديثة لعبد الرّحمن الحاج صالح.

The Grammatical Term in the Modern Al-Khalilist Theory of Abdul Rahman al-Hajj Saleh

فتيحة بلحاجي[1] * ، وهيبة وهيب [2]

[1] المركز الجامعي، مغنية، مخبر الدراسات الأدبية واللغوية الأندلسية تلمسان، الجزائر،
fatihabelhadji13@gmail.com

[2] المركز الجامعي، مغنية، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية تلمسان، الجزائر،
wahiba_wahib@yahoo.fr

الاستلام: 2023/07/29 القبول: 2023/12/31 النشر: 2023/12/31

ملخص:

تعدّ النّظريّة الخليليّة الحديثة لعبد الرّحمن الحاج صالح من النّظريّات اللّسانيّة الحديثة الرّائدة في العالم العربيّ، هدفها التّوفيق بين ما أنتجه الفكر التّراثيّ اللّغويّ العربيّ القديم؛ وأحدث ما توصّلت إليه اللّسانيّات الغربيّة المعاصرة من مفاهيم لسانيّة، وأغلب ما ورد في هذه النّظريّة من مفاهيم ومبادئ يعود إلى كتاب سيبويه وكتب النّحو التي سارت على نهج الكتاب، وكذا أهمّ المؤلّفات العربيّة التي صُنّفت حتّى القرن الرّابع الهجريّ، واعتمد صاحب النّظريّة على ترسانة من المصطلحات النّحويّة في دراسته للظّاهرة اللّغويّة وتحليلها، من قبيل الاستقامة، والابتداء والانفصال، والعامل وغيرها من المصطلحات التّراثيّة التي قارب بها المفاهيم اللّسانيّة الحديثة، وعليه نروم تقديم ورقة بحثيّة نقف فيها على أهمّ هذه المصطلحات، مع توضيح وجوه الأصالة أو التّجديد فيها.

الكلمات المفتاحية: المصطلح؛ التّراث النّحويّ؛ النظريّات اللّسانيّة؛ عبد الرحمن الحاج صالح.

Abstract:

The modern Al-Khalilist theory of Abdul Rahman Al Haj Saleh is considered to be one of the leading modern linguistic theories in the Arab world; its aim is to reconcile the development of ancient Arab linguistic heritage thought with the latest linguistic concepts of contemporary Western linguistics. Most of the concepts and principles in this theory date back to The Book of Sibawayh and the grammar books that followed the model of the book, as well as the most important Arabic works compilled until the 4th century AH. The theorist relied on an arsenal of grammatical terms in his study and analysis of the linguistic phenomenon, such as integrity, initiation and separation, the factor and other heritage terms in which he approached modern linguistic concepts. We therefore intend to present a research paper in which we inquire about the most important of these terms, while clarifying the faces of their authenticity or renewal.

Keywords: Term, Grammatical Heritage, Linguistic Theories, Abdul Rahman Hajj Saleh.

* أالمؤلف المراسل

1.مقدمة:

لا أحد يُنكر أنّ التّقدّم العلميّ في مختلف مجالات المعرفة إنّما هو مرتبطٌ في جوهره بوضع المصطلحات (terminologies)، فللمصطلح دورٌ كبيرٌ في حياة النّاس؛ لأنّه ناظم التّواصل بينهم في شتّى ميادين النّظر والعمل؛ لأنّ المفاهيم إنّما تنتقل إلى الأذهان بالكلمات التي اتُّفق عليها لتكون دالّة عليها، وقد عرّف الشّريف الجرجاني(1413م) الاصطلاح بقوله: "هو عبارةٌ عن اتّفاق طائفةٍ على وضع اللّفظ بازّاء المعنى، وهو إخراج الشّيء من معنى لغويّ إلى معنى آخر لبيان المراد" (الجرجاني،2003)، والمصطلح اسم مفعول من اصطلح، ما تمّ الاتّفاق عليه، كلمةٌ أو مجموعةٌ من الكلمات لها معنى معيّن. (مختار، 2008)

ولم تعد قضيّة المصطلح مقصورةً على حقولٍ علميّةٍ مخصوصةٍ كالطّبّ والهندسة والتّكنولوجيا، بل إنّها فرضت نفسها بالقوّة نفسها في حقولٍ اجتماعيّةٍ وإنسانيّةٍ، ويأتي في طليعتها علم اللّسانيّات، حيث أدرك اللّسانيّون العرب المحدثون أهميّة هذا العلم وضرورة الإلمام بأسبابه والإحاطة بنتائجه إحاطةً شاملةً، ولهذا لم يتوانوا في التّعريف بهذا العلم، والقيام بترجمة المؤلّفات اللّسانيّة المهمّة، كما ظهرت حركة تأليف حثيثة أخذت اتّجاهات مختلفة.

لقد تعدّدت المؤلّفات اللسانيّة، وحملت في طيّاتها ترسانة من المصطلحات في شتّى الفروع اللسانيّة النظريّة والتطبيقيّة؛ فتعدّدت تبعا لذلك المصطلحات وفق توجّه الباحثين واختلاف مشاربهم المعرفيّة؛ ذلك أنّ اللسانيّات العربيّة انقسمت إلى اتّجاهات تبنّى أصحابها نظريّات لسانية مختلفة؛ منها ما هو مستمدّ من الموروث النحويّ العربيّ، ومنها ما هو موافق للفكر اللساني الغربي بما يخدم اللّسان العربيّ.

ويعدّ اتّجاه لسانيات التّراث من الاتّجاهات التي نالت رواجاً في الدّراسات اللّسانيّة العربيّة، إذ جاء نتيجة إيمان بعض اللّسانيّين العرب بأنّ ما تقدّمه اللّسانيات من معرفة علميّة في دراستها للّغة مبثوث في ما جاء به أسلافنا من اللّغويّين والنّحاة، وما علينا سوى إعادة قراءته وصوغه من جديدٍ في نظريّةٍ لسانيّةٍ عربيّةٍ، يمكن الاستفادة منها في الدّراسات اللّغويّة والعلميّة، ويتمثّل موضوع الدّراسة في هذا الاتّجاه في التّراث اللّغويّ العربيّ القديم، أمّا المنهج فهو ما عُرف بمنهج القراءة أو إعادة القراءة، أمّا غايات لسانيات التّراث فهي قراءة التّصوّرات اللّغويّة القديمة، وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللّسانيّ الحديث، والتّوفيق بين نتائج الفكر اللّغويّ القديم والنّظريّات اللّسانيّة الحديثة. (بوراس، 2015)

ومن بين النّظريّات اللّسانيّة العربيّة التي مثّلت هذا الاتّجاه، النّظريّة الخليليّة الحديثة لعبد الرّحمن الحاج صالح العالم اللّغويّ الجزائري؛ التي نالت مكانة علميّة كبيرة ؛ لما حملته من مبادئ واضحة قابلة للتطبيق والتّعميم، ويمكن ملاحظة نتائجها وآثارها في مجالات عديدة، من قبيل التعليميّة، وحوسبة اللغة العربيّة، وعلاج أمراض الكلام وغيرها؛ ففيم تتجلى أهمّ هذه المصطلحات، وأين تكمن وجوه الأصالة أو التّجديد فيها؟

.2. تعريف النّظريّة الخليليّة الحديثة.

ظهرت النّظريّة الخليليّة الحديثة لعبد الرّحمن الحاج صالح في إطار التّوفيق بين القديم والحديث، ووُصفت بالحديثة لأنّها تمثّل اجتهاداً علمياً تقويمياً صدر في زماننا أدّى إلى قراءةٍ جديدةٍ لِما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170ه) وتلميذه سيبويه (ت 180ه) خاصّة، وجميع من جاء بعدهما من النّحاة الذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب سيبويه إلى غاية القرن الرّابع، كشروح كتاب سيبويه وغيرها، أضف إليه البحوث التي كتبها بعض العباقرة من العلماء كالسّهيلي (ت 581ه)، وعبد القاهر الجرجاني (ت 471ه)، والرّصني الأستربادي (ت686ه)، وغيرهم، وأغلب ما تناوله بالتّحليل والتّقويم هو ما ذكره من الأقوال العلميّة للخليل في كتاب سيبويه (تفوق 600 قولاً وتحليلاً)، ولذلك نُسبت النّظريّة إليه بالتّغليب (ينظر: الحاج صالح، 2007).

وتتمثّل غايات النّظريّة الخليليّة الحديثة في إبراز القيمة العلميّة للتّراث النّحوي الذي تأسّس على معطياتٍ رياضيّةٍ لا تحتمل الخطأ، وتأكيد أنّ ما توصّل إليه الخليل يأخذ المنحى العلميّ في الحوسبة اللّغويّة بكافّة فروعها، ومن هنا فإنّ النّظريّة الخليليّة الحديثة هي نظريّة لسانيّة معاصرة تؤكّد ضرورة الرّجوع إلى التّراث اللّغويّ الأصيل، والنّظر فيما تركه العلماء الأوائل المبدعون وتفهّم ما قالوه من الحقائق العلميّة لفهم أسرار فقه اللّغة العربيّة، وإجراء مقارنةٍ نزيهةٍ بين نظريّة النّحاة العرب الأوائل، والنّظريّات اللّسانية الحديثة التي ظهرت في الغرب، مع تحيين الوقائع النّحويّة وفق التّطوّرات الجبّارة التي تعرفها التّقنيّات المعاصرة. (الحاج صالح، 2007)

وفي هذا الإطار يقول عبد الرّحمن صالح: «الغاية من هذا البحث هو قبل كلّ شيءٍ التّعريف بهذه النّزعة التي تصف نفسها بأنّها امتداد منتقى للآراء والنّظريّات التي أثبتها النّحاة العرب الأوّلون، وخاصّة الخليل بن أحمد، وفي الوقت نفسه مشاركة ومساهمة للبحث اللّسانيّ في أحدث صوره وخاصّة البحث المتعلّق بتكنولوجيا اللّغة». (الحاج صالح، 2007)

ويؤكّد عبد الرّحمن الحاج صالح على أهمّية نظريّة النّحاة العرب الأوّلين، لا من حيث إنّها لا تزال ذات قيمة كبيرة من النّاحية العلميّة، بل من حيث إنّها يمكن أن تُستغلّ مفاهيمها في الميدان التّطبيقي كالعلاج الآلي للنّصوص، وتركيب الكلام الاصطناعي، وعلاج المصابين بالحبسة. (الحاج صالح، 2007)

ونستنتج ممّا سبق أنّ هدف النّظرية الخليليّة الحديثة هو التّوفيق بين القديم والحديث وإثبات مفاهيم لسانيّة قائمة على المنطق الرّياضي، والاستدلال العقليّ القويّ.

3. المصطلحات النّحويّة التّراثيّة في النّظريّة الخليليّة الحديثة:

اعتمد علماء العرب – وزعيمهم في ذلك الخليل- على عددٍ من المفاهيم والمبادئ لتحليل اللّغة، وأهمّها: الاستقامة، والعامل، والقياس، والأصل والفرع، وغيرها من المفاهيم اللّغويّة التي اعتُمدت في تفسير الظّاهرة اللّغويّة.

وإذا ما نظرنا إلى مفاهيم النظريّة الخليليّة الحديثة ألفينا أنّ اللّسانيّ عبد الرّحمن الحاج

صالح قد ارتكز على هذه المفاهيم التّراثيّة في بلورة نظريّته اللّسانيّة معتمدا على عدد من هذه المصطلحات دون إهمال ما جدّ في حقل اللّسانيّات المعاصرة؛ وفيما يلي رصد لأهمّ المصطلحات التّراثيّة في النّظريّة الخليليّة:

1.3. الاستقامة:

ينطلق عبد الرّحمن الحاج صالح في شرحه لهذا المفهوم من مقولة سيبويه في ملاحظته الظّاهرة اللّغويّة من حيث بناها التّركيبيّة ومعانيها الدّلاليّة بقوله: «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب». (سيبويه، 1988)

-مستقيم حسن، مثل: أتيتك أمسٍ، وسآتيك غداً.

-المحال، مثل: أتيتك غداً.

-المستقيم القبيح: قد زيدًا رأيتُ.

-المحال الكذب، مثل: سوف أشرب ماء البحر أمسٍ.

وعلى هذا يكون التّمييز بهذه الكيفيّة:

-مستقيم حسن: سليم في القياس والاستعمال.

-مستقيم قبيح: خارج عن القياس وقليل في الاستعمال وهو غير لحن.

-محال: قد يكون سليماً في القياس والاستعمال ولكنّه غير سليمٍ من حيث المعنى.

ومن هنا جاء التّمييز المطلق بين اللّفظ والمعنى، وهذا يعني أنّ اللّفظ إذا حُدّد أو فُسّر باللّجوء إلى اعتباراتٍ تخصّ المعنى، فالتّحليل هو تحليلٌ معنويٌّ، أمّا إذا حصل التّحديد والتّفسير على اللّفظ دون أيّ اعتبارٍ للمعنى فهو تحليلٌ نحويٌّ، ويعدّ الخلط بينهما خطأ وتقصيراً، وقد بنى النّحاة على ذلك أنّ اللّفظ هو الأوّل، لأنّه المتبادر إلى الذّهن أوّلاً ثمّ يُفهم منه المعنى، ويترتّب على ذلك أنّ الانطلاق في التّحليل يجب أن يكون من اللّفظ في أبسط أحواله.(الحاج صالح، 2007)

2.3 العامل:

تُعدّ نظريّة العامل من أروع ما أبدعه الخليل وأتباعه، ومن أخطر النّظريّات التي سيكون لها دورٌ عظيم في تطوير معلوماتنا حول الظّواهر اللّغويّة، إذ إنّ مفهوم العمل هو المفهوم الدّينامي الذي ينبني عليه المستوى التّركيبي للّغة، ولقد قصد النّحاة الأوائل بفكرة العامل التّعبير عن العلاقات بين أجزاء التّركيب، وأساس هذه النّظريّة أنّه إذا كان أحد الأجزاء في التّركيب طالبًا لآخر من حيث المعنى فإنّه يتشبّث به لفظاً، ومنه يتّضح أنّ المقصود بالعامل هو بيان الارتباط والتّعلّق بين أجزاء التّركيب والأثر الذي ينشأ عن هذا التّعلّق. (بن التواتي، 2015)

وتجدر الإشارة إلى أنّ العامل في الجملة الاسميّة إمّا أن يكون مقدّرا (الابتداء)، أو ظاهراً ويتجلّى ذلك في النّواسخ، أمّا الجملة الفعليّة فهي تنحو منحى الجملة الاسميّة مع أخذ الاعتبار أنّه قد تتّخذ معمولين فأكثر.

وتبرز نظريّة العامل استحالة تقدّم المعمول الأوّل على عامله، فالعلاقة بينهما هي علاقة تراتبيّة إذا تقدّم تغيّرت بنية الجملة دون معناها الوضعي، أمّا المعمول الثّاني فيجوز أن يتقدّم على جميع العناصر، اللّهم في حالة الجمود، نحو قولنا: إنّ في الدّار زيدًا، فلا يجوز أن نقول: في الدّار إنّ زيدًا. (قادري، د.ت)

ولقد تنبّه عبد الرّحمن الحاج صالح إلى أهمّية نظرية العامل(ينظر: الحاج صالح، 2007، ج1)، إذ يمكن استغلال مفهوم العامل في معالجة

النّصوص آليًّا، ويستطيع الباحث أن يستغلّ هذه النّظريّة لصياغة التّراكيب في قالبٍ رياضيٍّ دقيقٍ. وقد توصّل أحد الباحثين إلى استغلال هذه النّظريّة وبرمجتها لاستكشاف البنى التّركيبيّة آليّاً. (بن التواتي، د.ت).

3.3 الانفصال والابتداء:

يقول الخليل بلسان سيبويه: «إنّه لا يكون اسمٌ مُظهَرٌ على حرفٍ أبدًا، لأنّ المُظهر يُسكَتُ عنده وليس قبله شيءٌ ولا يلحق به شيءٌ، ولا يُوصل إلى ذلك بحرفٍ». (سيبويه، 1988)

وقف صاحب النّظريّة على مفهومي الانفصال والابتداء انطلاقاً من هذا القول الذي يميّز بين الأسماء المظهرة (كتاب، قلم ...)، التي يمكن أن تبتدأ أو تنفصل عمّا قبلها إذا أُدرجت في الكلام، والأسماء المضمرة (مثل الضّمائر المتّصلة بالاسم والفعل)، والتي لا يمكنها أن تبتدأ أو لا تنفصل عمّا قبلها. (بوراس، 2015)

ومعنى هذا أنّ كلّ وحدةٍ لغويّةٍ يمكن الابتداء بها أو الوقوف عليها حسب موقعها من الكلام، وهناك أصناف ثلاثة في اللّسان العربيّ:

1)ما ينفصل ويبتدأ: مثل لفظ الرّئيس في قولنا (جاء الرّئيس) و(الرّئيس جاء).

2)ما ينفصل ولا يبتدأ: مثل الضّمائر المتّصلة، نحو: كتبتُ.

3)ما يبتدأ ولا ينفصل: مثل حروف الجرّ.

وانطلاقاً من التّصوّر السّابق يحدّد عبد الرّحمن الحاج صالح الزّيادة والتّعاقب الذي يحدّد الوحدة.

فالزّيادة قبل الأصل تكون بـ:

-(ال)التّعريف: (ال) كتاب.

-حروف الجرّ: (ب) كتاب.

أمّا الزّيادة بعد الأصل تكون بـ:

-العلامة الإعرابيّة (الحركات والحروف)

-الإضافة

-الصّفة (قادري، د ت).

4.3 الأصل والفرع:

يُعدّ مفهوما الأصل والفرع من المفاهيم التي وقفت النّظريّة الخليليّة الحديثة على تحديدهما كمفهومين إجرائيين يرصدان العلاقة التي قد تربط بين وحدتين مختلفتين من حيث البنية إلاّ أنّهما يجتمعان في شيءٍ مشتركٍ، إحداهما تكون أصلاً والأخرى تكون فرعاً عنها. (بوراس، 2015)

ولقد ميّز النّحاة العرب الأصول عن الفروع، فحدّدوا الأصل بأنّه العنصر الثّابت أو النّواة، أمّا الفرع هو الأصل بزيادةٍ أو بشيءٍ من التّحويل، ويمكن أن نضعه في شكل معادلةٍ: الفرع = الأصل + عنصر غير مستمرّ (زائد).

5.3 القياس:

يحصل القياس في النّحو العربي بناءً على العمليّة المنطقيّة الرّيّاضيّة: التّفريع من الأصل على مثالٍ سابقٍ، وهذا التّفريع لا يجوز إلاّ إذا اطّرد الباب، وإذا لم يطّرد فيُقاس على الأكثر؛ أي على الصّيغة الغالبة في الباب والاستعمال، وهذا يعني أنّ القياس هو: حمل شيءٍ على شيءٍ لجامع بينهما، وحمل شيءٍ في الحكم، هو الذي يُسمّى في المنطق الرّياضيّ تطبيق النّظير على النّظير، وتطبيق مجموعةٍ على مجموعةٍ حتى يظهر تطابقٌ في البنية على مجموعتين على الأقلّ. (بلعيد، 2004).

4. خاتمة:

ومن جملة ما توصّل إليه البحث ما يلي:

- قامت النّظريّة الخليليّة الحديثة عند عبد الرحمن الحاج صالح على ترسانة من المصطلحات اللّغويّة، أغلبها يندرج ضمن المصطلح النّحويّ التّراثي.

- ربط عبد الرحمن الحاج صالح بين الصطلحات النحويّة التراثيّة وما استجدّ من مفاهيم لسانيّة حديثة وفق نظرة تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، بما يخدم اللغة العربيّة مع المحافظة على خصوصيّاتها الجوهريّة.

- أثبتت النّظريّة الخليليّة الحديثة أنّ في تراثنا مفاهيم لسانيّة تفوق في كثير من الأحيان ما عند غيرنا؛ فقد قامت على الاستدلال العقليّ القويّ، وبُنيت على المنطق الرّيّاضيّ، وذلك من خلال الإجراءات المعتمدة في التّحليل اللّغويّ عند النّحاة القدامى انطلاقًا من استقامة اللّفظ، والانفصال والابتداء، والعامل، والأصل والفرع، وإنّه من غير الإنصاف أن ننكر الأسس العلميّة التي بُنيت عليها النّظرية النّحويّة العربيّة.

5. قائمة المراجع:

1- أحمد عمر مختار. 2008. معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، ج1.

2- الشّريف الجرجاني، 2003. التّعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: السود، محمد باسل عيون. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط2.

3- صالح بلعيد. 2004. مقالات لغويّة، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،

4- التواتي بن التواتي. 2015. المدارس النّحويّة، دار الوعي للنشر والتوزيع.

5- سيبويه. 1988. الكتاب، القاهرة: مطبعة الخانجي، ج1، ط3.

6-عبد الرحمان الحاج صالح.2007. النّظريّة الخليليّة الحديثة، مفاهيمها الأساسية، كرّاسات المركز، سلسلة يصدرها مركز البحث العلميّ والتقني لتطوير اللغة العربيّة، الجزائر، العدد الرابع.

7- عبد الرحمان الحاج صالح .2007. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر ج1.

8- محمد الأمين قادري."النّظرية الخليليّة الحديثة،." اليوم الدراسي السابع حول اللغة العربية بين النحو العربي ونظريات البحث اللساني. تيزي وزو: مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري.

9- ياسين بوراس. 2015. البحث اللّسانيّ في الفكر العربيّ المغاربيّ المعاصر. تيزي وزو: منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر.